الآداب العربية
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(سليم بك تقلا) وكأنَّ تلك السنة ١٨٩٢ كانت مشئومةً على الآداب العربيَّة فتوفي في اواسط تموز رجل لبنانيّ نبغ في تحرير الجرائد خصوصاً زيد سليم بك تقلا. ولد المذكور سنة ١٨٤٩ في كفرشيما وكان روميًّا ملكيًّا كاثوليكيًّا فاستنشق ريح الآداب التي تمَّ شذاها في مسقط رأسه من الحديقة اليازجيَّة فدرس في صغره في مكتب قريته ثم دخل مدرسة اعيبه الاميركانيَّة الى سنة ١٨٦٠ حيث نزل الى بيروت فاكمل دروسهُ في المدرسة الوطنيَّة على المعلم بطرس البستانيّ وابنه سليم وكان في كل تمثلياته مثالًا لاقرانه يسبقهم بذكائه ورغبته في احراز العلوم . ولمَّا أنشئت سنة ١٨٦٥ المدرسة البطريركيَّة في بيروت انتدبهُ اصحابها الى تدريس العربيَّة فيها فكان وصيفاً للشيخ ناصيف اليازجيّ وكان يلقي عليه مشاكلهُ اللغويَّة حتى رسخت قدمهُ في العلوم اللسانيَّة وامكنهُ وضع كتاب مدرسيّ في الصرف والنحو دعاهُ مدخل الطلَّاب فاتخذتهُ المدرسة دستوراً للتعليم وزادت ثقة الرؤساء به فجعلوهُ رأس اساتذتهم ووكيل اعمالهم. ثم اجتذبتهُ مصر لما رأى في ربوعها من الحريَّة وفي امرائها من الاريحيَّة والتنشيط فأمَّها ورفع الى خديويها اسماعيل باشا قصيدة رنَّانة مهَّدت له سبيل النجاح فنال الامتياز بانشاء جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ وهي التي لا تزال الى اليوم احدى جرائد مصر اليوميَّة الكبرى فتحيا بروح منشئها وقد لعبت في حياته بمنته دوراً مهمًّا مع ما صادفتهُ في سيرها من العوائق لاسيما سنة ١٨٨٢ وقت الحوادث العرابيَّة الَّا انَّ عزم محرِّرها لم يُغلب بتلك العوارض بل زاد نشاطاً وعانى اعمال الصحافة الى وفاته فتوفي في بيت مري سنة ١٨٩٢ وكان قصد لبنان تغييراً للهواء وطلباً للشفاء من الم اصابهُ في القلب فلم يمهلهُ رجلهُ

زمناً طويلاً ونُقلت جثّتهُ الى موطنهِ باكرام. وكان لسليم بك تقلا موقع عظيم في نفوس ارباب الامر من دولتهِ فنال منهم والدول الاجنبيَّة عدَّة رُتب وامتيازات شرفيَّة. وهو قد ابقى من آثار قلمهِ ما خلا فصولهُ ومقالاتهِ المتعدّدة في الاهرام مجموعاً فيهِ مقاطيع من نظمهِ ونثرهِ. فمن حسن شعرهِ قولهُ يصف اساطيل حربيَّة:

تلك الاساطيلُ فوق البحر سابحةٌ ... والبحرُ منها كسهلٍ وهي كالقُلَلِ
دانت لهيبتها الانواء خاضعةً ... فحيثما قصدتْ حلّت بلا مهلِ
خاضت عبابَ بحار الارض آمنةً ... عصفُ الرياح وقصفُ الرَّعدِ بالكللِ
اذا شكتْ سُفُنُ المصرِ الشديد ظما ... تُرابها اوردتْها الماءَ للذَّقَلِ
وان تناسخ حصنٌ دُكَّ عن أُسسٍ ... ولو تطاولَ مرفوعاً الى زُحَلِ
غاجا الجزائرَ ثمَّ الانسُ من بشرٍ ... والبحرُ في الجوّ مثلُ الموتِ في الوشلِ
هذي قوى الماء فوق الماء ناشرةً ... بند الهلال فصفْ ما تبتغي وقُلِ

ولسليم بك تقلا غير ذلك مما لم يُطبع كرسائل ونُبذ تاريخيَّة وروايات معرَّبة منها رواية متدريات ورواية أيوب البار. وهذه رسالة كتبها في تهنئة:

السيّد السند الطال الله بقاءهُ. لا ادري اي الثلثة اهنّئ ايّاك ام الرتبة ام نفسي اما انت فتهنيك وان كُنتَ فوق ما نلتَ واما الرتبة فبتشرُّفها لأنّها دون من سمت اليهِ واما انا فلأني اوّل مُخلص لك وُدَّك فتهنّئني بما أفتخر بهِ لك ويا حبّذا لو كان لي مداد برقي ويراع كهرباني أفيك بعض حقّك من سروري ولمَّ ما بين قلبَيْنا يقوم هذا المقام مني فأقوى:

فان أشكُكْ أراجعْ فالدليل معي ... وان تشككْ فراجعْ فالدليلُ معكْ

ومن ظريف قولهِ في من عذلهُ على التدخين:

عذلَ التدخينَ قومٌ قد رأوا يدي سيكارةً اعشقُها
قال دعها فهي سمٌّ ناقعٌ قلت لا وقد لا اعتقُها
ان تكن سمّاً فاني محرقٌ شرَّها بالنار اذ أحرقُها
وعليهِ فاعذلوا او فاعذروا قتلى العالمين لا أطلقُها
ان حلالاً او حراماً اشربا فانا الصبُّ الذي يشقُها

وقام من بعد سليم بك شقيقهُ (بشاره باشا تقلا) وكان ثنيانهُ في التأليف والعمل وتولّى شؤون الجريدة بنشاط تسع سنوات اعرب في اثنائها عن همَّة عالية وعزم شديد استحقَّ بهما اعتبار الجميع فاقتادت لهُ الدنيا عفواً ونال كأخيهِ الابتسامات. لكنَّ الموت عاجلهُ فتوفي في حزيران من السنة ١٩٠١ وهو في اوّل كهولتهِ كاخيهِ لا يتجاوز عمرهُ ٤٨ سنة

(القانونيّ نقولا نقّاش) هو نقولا بن الياس نقاش اخو المرحوم هارون نقاش الذي سبق ذكرهُ (في المشرق ١١ : ٣٨٢) وهناك اشرنا الى اصل العائلة من صيدا وانتقالها الى بيروت . وكان مولد المترجم في هذه المدينة سنة ١٨٢٥ ويرى على آثار اخيهِ في طلب العلوم ودروس اللغات وساعدهُ في انشاء الروايات التمثيليّة . ثم تعاطى التجارة من السنة ١٨٥٩ الى السنة ١٨٦٨ فانتدبتهُ الحكومة الى خدمتها كعضو مجلس الادارة في لواء بيروت وكمدير جمارك الدخان فانكبَّ على مطالعة قوانين ونظامات الدولة العليّة وتخرَّج في العلوم الشرعيّة على مشائخ العلماء اخصهم الشيخ يوسف الاسير فاحرز شهادة وكلاء الدعاوي ونُصب عضوًا دائمًا لمحكمة بيروت التجاريّة واشتغل وقتئذٍ بالتأليف وعرَّب عن التركيّة عدَّة كتب قانونيّة واضاف اليها الشروح والفوائد حتى صارت في دوائر الحكومة المحلّيّة بمثابة الترجمة الرسميّة يُرجع اليها في حلّ المشاكل . ونمت شهرة المؤلف بذلك حتى وقع عليهِ الاختيار سنة ١٨٧٨ كمبعوث بيروت الى الاستانة في الندوة الدستوريّة لولا انَّ ثمرة الدستور لم تنضج بعد فعاد بعد مدَّة الى وطنهِ وانشأ سنة ١٨٨٠ جريدة المصباح الكاثوليكيّة فنالت بتدبيرهِ ومقالاتهِ شهرة واسعة طول حياتهِ . وقد ضعف نور ذلك المصباح بوفاة منشئهِ حتى اطفأ تمامًا . وكان المرحوم نقولا نقّاش شديد التمسُّك بالدين مجاهرًا بايمانهِ كما تشهد لهُ بعض تآليفهِ كتكريم القديسين ومجموع صلوات تقويّة . ولهُ من الكتب الادبيّة خطب في مواضيع شتى سياسيّة واجتماعيّة ولهُ ديوان شعر طُبع في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٧٩ ضمَّنهُ كثيرًا من المعاني الحسنة والاوصاف العصريّة فمن ذلك قولهُ من قصيدة طويلة ارَّخ فيها وصول مياه نهر الكلب الى بيروت سنة ١٨٧٥ :

يا اهل بيروت بشرى قد صحَّ فينا الرجاء
هذا هو الماء جار فَلْنغرفْ منهُ الظماء
ماء لذيذٌ شهيٌّ ردُّوهُ فيهِ الماء
بيروت ضاقت دهشًا وزال عنها العناء
تقـلْ لمن عيَّرونا وقلَّةُ الماء داء
تعالَوْا الآن تلقوا ماء وفيهِ النماء
سقيًا لبيروت ارَّخْ في ثغرنا حلَّ ماء (١٨٧٥)

ومن اوصافهِ تعديدهُ لعجائب العصر :

انه اكبرُ هذا عصرُ تجديدِ عصرُ المعارف لا بل عصرُ تمجيدِ
عصرٌ جديدٌ لهُ الاكوان باسمةٌ تثني على اهلهِ الفرّ الصناديدِ
ذياكَ ينطق في تسبيح خالقهِ وذاك يلهج في حمدٍ وتوحيدِ
هذا يطير الى الليلى بمقتنصٍ وذاك يخرقُ اجبالَ الملاعيدِ
ترى السفائنَ اعلاماً مدرّعةً إن تصدم الحصنَ ألقى بالقلائدِ
ما البيضُ ما السُمرُ إن ألفت مدافعها كراتها السُمرَ من أفواهها السُودِ
كما تخافُ من الأفلاك صاعقةً أضحت من اليمِ تأتينا بتهديدِ
تجوبُ اخبارُنا كالبرقِ سرعةً تكادُ تسبق فكراً غيرَ مواردِ
اضحت قوافلنا والثارُ تحملها تسيرُ كالطيرِ لا كالبسِ في اليدِ
وافهِ ما قلتُ قرأت البخارَ سوى ضربٍ من السحرِ لكن للخبيرِ محمودِ
هي الطبيعةُ جلَّ الله مبدعها الى الوجودِ بدت من عمقِ مفقودِ
كلٌّ يحاولُ منها كشفَ معجزةٍ فكلُّ من جدَّ يلقى جلَّ مقصودِ

ومن محاسن نظمهِ قولهُ في لبنان ومقاطعاتهِ بعد حوادث السنة ١٨٦٠:

فه درُّك يا حمى لبنانِ اذ اصبحتَ مقتنم الرضا الشاملي
نُشرت سمارفهُ الجليلة اذ غدا يروي حديثاً عن بني نبهانِ
وبقاعهُ ذاك العزيزُ مقامهُ اضحى عزيزاً اخصب الوديان
وبقنّهِ وبنرعهِ حلَّ المنى والجُرد اضحى ساحلاً لأمانِ
وبشوقهِ يُشفى العليلُ تيمُّناً غرباهُ قُلْ بالخيرِ يلتقيانِ
قد مُدتَ يا عرقوبهُ عمَّا مضى وغدوتَ معروفاً بصدقِ لسانِ
وكذا المناصفُ أنصفت لما صفت في خدمةٍ تُهدى الى الأوطانِ
وبكروانَ ترى الامانَ موطّداً من سيفِ كسراهُ الجليلِ الشانِ
وترى القُرَيطع كالقطيع مطاوعاً وكذاك فاطمهُ بوصلٍ دانِ
وجبيلهُ وجبالهُ وسهولهُ وسمورهُ ساكت رياض البانِ
وبزاريتهِ (كذا) قد بنى نِعَمَ البنا حل لا وذا وعدٌ من الرحمانِ
نحمي بسيفٍ باترٍ يترونهُ وكذا غدت أميونهُ بأمانِ
نادى حسامُ الدلِ فيهِ هاتفاً ألقي «بشرّي» كلَّ من عاداني
بجنوبهِ وشمالهِ تلقى الضنا وبشرقهِ وبغربهِ هتّانِ
قُم أيها الشيخُ القديمُ زمانهُ وانظر مضابك بهجةَ الأكوانِ
نسجَ الربيعُ بنحو عاملك خوذةً كزبرجدٍ قد صيغ مع مرجانِ
عامٌ تحلّلهُ الثلوجُ أكلّةً بيضاء تكني من جليلِ معانِ
والحصبُ في اكفانهِ ووسوطهِ مثل جنّةٍ تردانُ بالاقنانِ
حتى الصخورُ غدت رياضاً أثمرت من كل فاكهةٍ بها زوجانِ

ومناهل يجبي القلوبَ ورودُها ومينونُهُ تروي ظما الظمآنِ
هو جنَّةٌ في الارض تحكي للسما والحائق ترتع في رياضِ امانِ

ولهُ قصيدة طويلة تنيف على ١٤٠ بيتاً دعاها التربة وضمَّنها المعاني الزهديَّة. وقد روينا لهُ في المشرق (٥ : ٦٣١) نشيداً نظمهُ لجمعيَّة مار منصور. كانت وفاة نقولا نقَّاش في ٤ كانون الاوَّل سنة ١٨٩٤ فأبَّنهُ اصقع الخطباء ورثاهُ جلُّ الشعراء فجُمعت اقوالهم في كرَّاس مخصوص. وقد ورث اولادهُ من بعدهِ آدابهُ فعُرف منهم كبيرهم المرحوم يوسف ولهُ بعض الآثار الادبيَّة. والقانوني جان صاحب كتاب «غني المتداعين عن المحامين». ومن الاسرة عينها الشهير (سليم بن خليل) المتوفَّى في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وهو صاحب جريدة المحروسة ومحرِّر العصر الجديد ولهُ تاريخ المسألة المصريَّة سمَّاهُ «مصر للمصريين» وكتب عدَّة فصول ومقالات وروايات طُبعت في بيروت ومصر. ونضيف الى هؤلاء (جرجس بن حبيب) المتوفَّى في ١٧ تشرين الاوَّل سنة ١٩٠٧ وكان من ادباء طائفتهِ لهُ بعض المصنَّفات في تاريخ العرب اوقفنا عليها وهي لم تُطبع. وسليم وجرجس ابنا اخوي نقولا نقَّاش

(يوسف الشلفون) كان احد انصار النهضة الادبيَّة في الفصل الثاني من القرن التاسع عشر. وهو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون وكان جدُّهُ حاكماً على ساحل لبنان من قبل الامير بشير الشهابيّ الكبير. اما حفيدهُ يوسف فكان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ درس في مكاتب بيروت مبادئ العربيَّة واللغات الاجنبيَّة واشتغل مدَّة في المطبعة السوريَّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ بصفة مرتِّب حروف ومصحِّح مطبوعات. وفي اثر حوادث سنة ١٨٦٠ استدعاهُ فؤاد باشا معتمد الدولة العليَّة لترتيب ونظارة المحرَّرات الرسميَّة التي كانت تُطبع في التركيَّة والفرنسويَّة. وبعد ان تقرَّر نظام جبل لبنان انشأ على حسابهِ مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العموميَّة سنة ١٨٦١ ونشر فيها عدَّة مطبوعات عدَّدناها في المشرق (٣ : ١٠٠١ — ١٠٠٣) وكان يوسف الشلفون ذا همَّة عظيمة فانتدبهُ اوَّل متصرِّفي لبنان المرحوم داود باشا لتنظيم مطبعة في مركز المتصرِّفيَّة فقام المندوب بهذه المهمَّة القيام الحسن. ثم صرف عنايتهِ الى انشاء الجرائد فنشر منها اربعاً وهي الزهرة ثم النحلة ثم النجاح واخيراً التقدُّم وذلك بالاشتراك مع بعض الكتبة المجيدين كالقسّ لويس صابونجي والقسّ

يوسف الدبس واديب اسحاق. ثم اشترك مع المرحوم رزق الله خضرا فجعل مطبعتهُ في خدمة الطائفة المارونية الى ان انفصل عنها وانشأ المطبعة الكاثوليكية كما فصّلنا كل ذلك في تاريخ الطباعة في المشرق (٣: ٥٠١) وقد اضرَّ بالمترجم تنقلُهُ في الاشغال وميلهُ الى ذوي المبادئ الحرّة. وكان احد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة وفي مطبعتهِ نُشرت اعمالها في السنتين ١٨٦٨ و١٨٦٩. وكان حسن الكتابة ولهُ نظم جمعهُ في ديوان وطبع قسماً منهُ في مطبعتهِ الكاثوليكية سنة ١٨٧١ ودعاهُ انيس الجليس. فمن نظمهِ قصيدة في مدح داود باشا هذه بعض ابياتها:

ضاءت بشمس سعودكَ الايام ... وزهت بطلعة مجدك الاعوامُ
وسما بذاتك سفحُ لبنانُ الذي ... حسدتهُ مصرُ بعزهِ والشامُ
فكأنهُ فلكٌ وانت بأفقهِ ... بدرٌ لهُ دون البدور تمامُ
اقطارهُ بالعدل منك استأنست ... ورعت بها الآسادُ والاغنامُ
يا ايها المولى الذي عن وصفهِ ... وثنائهِ قد كلَّت الاقلامُ
تلذت قوماً تحت امرك منّة ... لم تُحصِ واجبَ شكرها الأرقامُ
ونسختَ آيات المظالم بعدما ... قامت على ساق بها الأقدامُ
ونصبتَ يا داودُ احكاماً بها ... ظهرَ اليقينُ وزالت الاوهامُ
فينا لك الذكرُ الجميلُ مخلَّداً ... هو في الحديث بداءةٌ وختامُ

وقال مهنئاً احد الرهبان اليسوعيين في عيدهِ فافتتح كلامهُ بهذه الابيات:

المرء يُعرَفُ في جميل خصالهِ ... ويُعزُّ عند مقالهِ وفعالهِ
والشهمُ من نال العُلى في جدّه ... حتى غدا الراقونَ دون منالهِ
ويشد صرحَ الخير في طلب العُلى ... كي يُدرك الأفلاك في اعمالهِ
ويرى اتقاء الله خيراً يُرتجى ... يوماً ويُشفي قلبهُ بزُلالهِ
ويميل عن كل الانام تعفُّفاً ... ويرى بحبّ الله راحةَ بالهِ

ولهُ قصائد في اماثل الرجال وكبار الامراء الذين قدموا بيروت ومدح امبراطور النمسا وولي عهد المانية وانكلترة وسمو الخديوي اسماعيل باشا فاستحقّ بذلك بعض الامتيازات الشرفيَّة لكنَّهُ توفي خاملاً

(سليم جدي) وفي السنة ١٨٩٥ عينها انتقل في ربيع عمرهِ شابٌ اديب قصتهُ المنون غصناً يافعاً نزيد بهِ سليم بن نصر الله جدي من أُسرة جدي المعروفة بفضلها في بيروت. كان مولدهُ نحو السنة ١٨٧٠ وتخرَّج في الآداب والعلوم في كليتنا.

وقد عرفناهُ حق معرفةٍ اذ كنّا ندرّسهُ العربيّة وكان في مدرستنا مع المرحوم (نجيب حبيقه) صاحب الفارس الاسود فعهدناهما طالبين يتلهّبان شوقاً الى خدمة الاوطان فجريان مذ ذاك في ميدان الآداب كخيل الرهان وتكليهما مآثر نثريّة وشعريّة لدينا منها اشياء متفرّقة والبعض منها قد نُشر بالطبع كعدّة قصائد وروايات . وكأنّ دار الآخرة حسدت الوطن على فضلهما فاشربتهما كأس المنون المرّة عاجلاً . الّا ان نجيباً عاش بعد قرينهِ عشر سنوات فمات في ٢٥ ك١ سنة ١٩٠٦ . ولسليم جدي رثاء في الشيخ خليل اليازجي صحّ فيهِ فكأنّهُ سبق ورثى نفسهُ بقولهِ :

لك بين الانام ديوانُ شعرٍ بجانبيهِ حرَّك الجلمودا
تلك بانت للعصر مبتكرات ومن المجد أبدعتك بروداً
لو درى الموت انّ ذلك درٌّ للمعاني نظمتَ منهُ عقودا
ما اصابت سهامهُ لك قلباً كان قبل اللسان يُنشي القصيدا

ولزميلهِ نجيب مصنّفات مدرسيّة اخصُّها درجات الانشاء في ثلاثة اجزاء . ومن قولهِ وصفهُ للسفينة البطرسيّة في يوبيل البابا لاون الثالث عشر وهو اذ ذاك تلميذنا :

عصفتْ على بحر الأنام رياحُ حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وهوت صواعقُ مصعقاتٍ أزعجت بشرًا فكادت ترهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرماً مُصخباً والموجُ ثار فماء منهُ جماحُ
والناس في غمر المحيط جميعهم خاضوا فليس من الفرار براحُ
ورأوا الماء تلاطمت امواجها وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمّت المُصيبة فالنجاة قد دنت آهًا اليس من الهلاك سراحُ
لكن على سطح المحيط سفينةٌ وعلى مُقدّمها يُرى مصباحُ
قد أقبلت وتطايرت لخلاصهم شكرًا لجدّك ايها الملّاحُ
فيكَ النجاة وليس غيرك يرتجى واليك كلُّ قلبهُ ملتاحُ
ها قد تقدّمت السفينةُ نحوهم فنجوا جا أرم وفيها راحوا
لم يَنأَ عنها غيرُ مَن قد آثروا شربَ الحتوف فذي الضلالُ قباحُ
شاموا البروقَ فأمّلوا منها الهدى خابت ظنونهمُ فليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاطلبوا من ينأَ عنها ضاع من ملاحُ
جدّوا ايا غرقى وامّوها بقو دكمُ اليها نورُها الرضّاحُ
جدّوا فليس لكم خلاص دونها ولجميعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤها سخروا جا قبحاً لهم قالوا بأن تُحطّم الألواحُ

فالموجُ يصدمها فيدفعها فلا املُ لنفسٍ بالنجاة متاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ كن آمنًا بين السفينة والمضمّر كفاحُ
فسفينة الصياد تقهر خصمها ابدًا لانَّ لها الصفا ملّاحُ
للعين عاد الدرّ صفوًا رائقًا وعن البلايا زالت الاتراحُ

(شاكر شقير) وفي خريف السنة التالية خسرت أسرة كريمة من الروم الاورثدكس كاتبًا آخر من اسرة قديمة وهو شاكر مقامس شقير عُرف في بلاد الشام مدّةً بتفنّنه بالكتابة ونظم الشعر ثم انتقل الى مصر وانشأ فيها مجلّة الكنانة في نيسان سنة ١٨٩٥ فماتت بموت محرّرها بعد سنتها الاولى. وكانت وفاتهُ في وطنهِ الشويفات والمذكور عدّة مقالات وروايات وقصائد تجدها متفرّقة في كثير من المجلّات وقد رونا عنهُ قصّة ظريفة في المشرق (٩ : ٧٥١) عنوانها الطواف بالقربان الاقدس. ولهُ كتاب مصباح الافكار في نظم الاشعار طُبع في بيروت سنة ١٨٧٣ ومنتخبات الاشعار طُبع سنة ١٨٧٦ وعُني بتكرار طبع ديوان ابي العلاء المعرّي دون ان يزيد عليهِ شيئًا يُذكَر من المحسّنات. ولشاكر اخٌ اسمهُ فارس ترك ايضًا بعض المؤلفات والمنظومات وخدم الحكومة في ولاية بيروت ومتصرفيّة لبنان. كانت وفاتهُ سنة ١٩٠٨. ومن حسن شعر شاكر قولهُ من رثاء في سليم دي بسترس دعاهُ حقيقة الاسف وقد تفنّن فيهِ كثيرًا:

قلبٌ وتلهفٌ وتأسّفٌ وتأفّفٌ وتحسّرٌ وتحرّقُ
كبدٌ تذوبُ وانفسٌ تشكو الضنا اذنٌ تطنُّ وأعينٌ تتدفّقُ

ثم انتقل الى بحر آخر وقافية أخرى فقال:

سليمُ الفؤادِ لهُ طلعةٌ تحيّي الشموس وتزري القمرْ
وذو هيبةٍ كأسودِ الشرى وانسٍ كانسِ الغزال الأغرّ
تخرُّ الذقونُ لهُ سجّدًا تُرى العيونُ بهِ اذ حضرْ
علىٌّ المكانِ جليُّ البيانِ طليُّ اللسانِ ملىُّ البصرْ
نقيُّ البنانِ تقيُّ الجنانِ رقيُّ الزمانِ بقيُّ الأثرْ

ومما قالهُ سنة ١٨٦٩ في مدح الجمعيّة السوريّة:

زهرة روضٍ كلّما طال وقتها تزيد نموًّا بالجمالِ مُقلّدًا
جا افتخرت بيروت حقًّا لقدستْ على كلّ مصرٍ وهي تُشبهُ فرقدا
مؤلفةٌ من كل صاحبِ غيرةٍ ذواتٍ بنَوا للخيرِ بيتًا مشيّدا
كواكب سعدٍ يسطعُ اليوم نورهم وجدي الذي في الجهل ضلّ الى الهدى

وقد البسوا بيروت حلّة سؤدد تتيه بها اذ اصبحت منبع الندى

ومن نظم فارس قولهُ من قصيدة في رثاء نقولا نقّاش :

من كان بالامس تقّاش الصحاف بذى يُنبيك حسّانَ او يزري بسحبانِ
من كل نثر انيق الوصف مندمج وكل شعر رشيق النظم طنّانِ
كم حرّر اللفظ والمعنى تصوّرهُ بما استرقّ لهُ احرارَ تبيانِ
اذا انبرى لا يبارى في مناظرةٍ وان جرى لا يجارى بين اقرانِ

وختمها بقوله :

مضى الى الله حيث الدارُ خالدةٌ مستوفيًا أجرَ اعمالٍ وايمانِ
لا يبرح النورُ فيه فوق مضجعهِ تمت الأكلّةِ من آسٍ وريحانِ

(امين شُمَيِّل) اسرة شُمَيِّل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما . يقال ان اصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر . وكان مولد امين بن ابراهيم شُمَيِّل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقّى مبادئ العلوم واللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان في بيروت فامتاز بين اقرانهِ . ثم سار الى رومية في بعض شؤون طائفتهِ فاصاب فيها نجاحًا . ثم رحل الى انكلترة وتعاطى ثمّ التجارة فانّسعت اشغالهُ وفتح محلاً في الاسكندرية فلم يزل في تقدّم ونجاح الى ان دار دولاب الدهر فاباد ثروتهُ . الّا انّ تلك الاحوال المشؤومة لم تمل شباة عزمهِ فصفّى اشغالهُ وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فنّ المحاماة فبرز فيهِ واشتغل بالآداب وانشأ مجلّة الحقوق فكانت باكورة المجلّات الشرعية . ونشر في تلك الاثناء بعض التآليف القانونيّة كالمباحث القضائيّة ونظام الحكومة الانكليزية والتآليف السياسية للمسألة الشرقية . وكان وضع قبل ذلك رواية سياسية دعاها الزقاف السياسي . وكان ضليعًا بالآداب حسن الكتابة نثرًا ونظمًا وكان يضمّن تآليفهُ المعاني الفلسفيّة والاعتبارات النظرية والرموز كما تشهد لهُ بعض مصنّفاتهِ كبستان النزهات في فنّ المخلوقات الذي لم يُطبع وكالمُبتكَر في وصف الحياة البشرية ومقاماتها المختلفة منذ الولادة الى الموت انجز تأليفهُ في ليڤربول سنة ١٨٦٧ فطبعهُ في المطبعة السورية في بيروت وكان لامين شُمَيِّل اولاد نجباء تهذّبوا كلّهم في كلّيتنا البيروتيّة الا انّ يد المنون دهمت سنة ١٨٨٥ اثنين منهم في وقت واحد فتوفي ارثور في بيروت وفردريك الكبير في مصر

وكان كلاهما من اذكى تلامذة مدرستنا واكملهم ديناً وادباً وارقاهم في سُلَّم النجاح في الدروس فكان موتهما مصاباً اليماً على والدهما أضعف قواهُ وهدَّ ركن حياتهِ. لكنَّهُ لم يزل يجاهد جهاد المستميت حتى لبّى دعوة ربّهِ في اواخر سنة ١٨٩٧ في ٦ كانون الاوّل منها بعد وفاة اخيهِ اسعد بضعة اشهر في لبنان (لهُ بقيَّة)

السرّ المَصون في شيعـــة الفَرمسون

مقالة تاريخيَّة ادبيَّة عرانيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ النظام الماسوني (تابع)

الباب الثاني

رواق الماسونية

بعد وصفنا لواجهة الماسونيَّة المحلَّاة بأزخرف الباطل خدع السذَّج والاغرار هيَّا بنا نتخطَّى خطوةً أولى فندخل في رواق تلك الدار واملَّ الحجَّاب يمنعوننا عن الدخول اذ لا علم لنا بالشعار الماسوني والكلمة السرّيَّة ولا بأس فانَّ احد «الجزويت» الذين ادَّعى شاهين بك مكاريوس (المشرق السابق ص ١٥٢) انهُ رآهم في المحافل الماسونية واعتبرهم كجواسيس يُطلعنا على السرّ المصون فندخل في جملة الداخلين. والكلمة السرّيَّة هذه المرَّة هي «حرّيَّة الضمير» امَّا السلام الماسوني فمصافحة خاصَّة يضغط فيها الأخوان بالابهام على اليديها

وها قد اجتمع بعد حين الاعضاء المنتظرون فدَعْنا نتعرَّف بهم ففي معرفتهم افادة فاذا هم بين الرؤساء الاخ ٣٣ المعروف بجحودهِ للّاهوت وبنبذهِ لكلّ دين. والاخ ٣٣ ب. المحامي الذي لا يدخل بيتاً الَّا سبَّ الاكليروس وذهبهُ الى الغايات السافلة. والاخ ٣٣ د ... الطبيب المادّي الذي لا يقرّ بوجود نفس مخلَّدة فينتهي كل شيء على رأيهِ بحياة الدنيا وموت الجسد. والاخ ٣٣ ر. القائل بالمذهب الدروينيّ وتسلسل الانسان عن القرد. والاخ ٣٣ ع. الكاتب النوضريّ المدافع عن مبادي الاشتراكيين والثائر لكل سلطة